إشراقات تربوية

في وصية الإمام الكاظم (عليه السلام)

إلى هشام في العقل

عماد الكاظمي

الأضحية
للتأليف والتحقيق والنشر

للتأليف والتحقيق والنشر

إشراقاتٌ تربويّةٌ

في وصية الإمام الكاظم عليه السلام إلى هشام في العقل

عماد الكاظمي

٢٧٢,٣٤
ك ٢٦٨ الكاظمي، عماد.
إشراقات تربوية في وصية الإمام الكاظم إلى هشام في العقل.
عماد الكاظمي. ط١- بغداد: دار المجيب، ٢٠٢٣م. الناشر: الكاظمية للتأليف والتحقيق والنشر.
(٤٥) ص، (١٧ ×٢٥) سم.
١. الوصايا - فقه إسلامي. ٢. الكاظم، موسى عليه السلام - الإمام السابع. ٣. أهل بيت النبي. أ. العنوان.
٤٨٢٠ / ٢٠٢٣
المكتبة الوطنية / الفهرسة أثناء النشر

- الكتاب: إشراقات تربوية في وصية الإمام الكاظم عليه السلام إلى هشام في العقل.
- المؤلف: عماد الكاظمي.
- الطبعة: الأولى.
- المطبعة: دار المجيب / العراق – الكاظمية المقدسة.
- الناشر: الكاظمية للتأليف والتحقيق والنشر.
- السنة: ١٤٤٥هـ ٢٠٢٣م.

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٤٨٢٠) لسنة ٢٠٢٣م

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة على النبي الهادي الأمين، وعلى آله الأئمة الهداة المعصومين ..

إنَّ المتتبع لتعاليم الشريعة الإسلامية المقدسة يرى بوضوح مدى اعتنائها بتربية الإنسان بصورة عامة، والمؤمن بصورة خاصة، فالقرآن الكريم قد تضمَّن آيات متعددة خاصة بالتربية القائمة على الفرد والمجتمع، والسنة الشريفة كذلك، وتعدُّ وصية الإمام الكاظم عليه السلام لهشام بن الحكم في العقل من أهم التراث الإسلامي في ذلك؛ حيث اشتمالها على فقرات كثيرة تؤكد مقام الإنسان وفضله، وأهمية تخلُّقه بأخلاق معينة، وما في ذلك من آثار في التربية والعمل على صلاح النفس والمجتمع، وهذه الوصية من الوصايا التي تحتاج إلى دراسات متعددة من جوانب مختلفة؛ لأنها تناولت مفردات لعلوم مختلفة ومن أكثرها تأكيدًا ما يتعلق بالتربية، ونحن اليوم بأمس الحاجة للاطلاع على هذه المناهج السليمة، التي تغذِّي النفس الإنسانية بتعاليم عظيمة يمكن من خلالها أنْ ننطلق نحو التغيير والإصلاح الفردي والمجتمعي، من خلال التعرُّف عليها أولًا، والعمل بها ثانيًا، ثم التعريف بها ودعوة الناس إليها ثالثًا، وتقع المسؤولية ابتداءً -حقيقة- على المؤسسات التربوية المتعددة، والتي لا بد لها أنْ تمارس دورها في بناء المجتمع.

إنَّ هذه الوصية المباركة من الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام لأهم تلامذته الذين كان لهم دور كبير من نشر تراث وعلوم الأئمة عليهم السلام، وإرساء قواعدها في

مجالات متعددة، هي إحدى تلك الصفحات المضيئة التي تناولتها أُمَّات المصادر الحديثية، أحاول من خلال تلك الإشراقات الكاظمية التي لا زال عطاؤها غذاءً ماديًّا ومعنويًّا تستمد الأمة منه، ٱستقراء ما له علاقة ببناء الفرد والمجتمع من وصايا مباركة، على وفق منهج وصفيٍّ تحليليٍّ لإحدى فقرات هذه الوصية المباركة، ضمن مشروع الإفادة من هذه الوصية تربويًّا، والذي تم نشر بعض تلك الفقرات في مقالات مستقلة سابقة، حيث سيتم التأكيد على وحدة منهج الثقلين -القرآن والعترة- في البناء التربوي، والإفادة منه في الحياة العامة.

تم تقسيم الكتاب[1] على مقدمة وتمهيد ومطالب خمسة فخاتمة، وأسأله تعالى التسديد بهذه المشاركة المتواضعة لبيان جزء من هذا الإرث النبوي العظيم الذي أسَّس قواعده من أرسله الله تعالى رحمة للعالمين، والذي كان على خلق عظيم (صلوات الله وسلامه عليه).

عماد الكاظمي
الكاظمية المقدسة
الأربعاء ٦ جمادى الآخرة ١٤٤٥هـ
٢٠ كانون الأول ٢٠٢٣م

(١) الكتاب هو بحث تمت المشاركة فيه في أسبوع الإمامة العلمي الدولي الأول الذي أقامته العتبة العباسية المقدسة / قسم المعارف الإسلامية المؤتمر الدولي الأول تحت عنوان (الصادق والكاظم عليهما السلام صادقا آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم) بتاريخ ٢٠ ذو الحجة الحرام ١٤٤٤هـ الموافق ٩ تموز ٢٠٢٣م، وقد تمت إضافة بعض الموضوعات.

تمهيد: قراءة في وصية الإمام الكاظم عليه السلام إلى هشام في العقل.

إنَّ العقل من أعظم نعم الله تعالى التي أنعمها على عباده، وهذه مسألة واضحة لا تحتاج إلى أيِّ بيانٍ أو آستدلال، فالإنسان بعقله يستطيع أنْ يصل إلى السعادة، والابتعاد عن الشقاء، وقد حثت الشريعة المقدسة على عظمة هذه النعمة، وبيان أثرها، وما يترتب عليها، وما يحافظ عليها، ويؤدي إلى كمالها، من خلال القرآن الكريم والسنة الشريفة، وهذا يؤكِّد على أمر عظيم يجب بيانه والتأكيد عليه، وهو أنَّ الشريعة الإسلامية المقدسة هي شريعة تدعو إلى العلم والكمال به، وما في ذلك من دعوة عظيمة دون غيرها من الدعوات الأخرى، فالإسلام دين العقل، والإسلام دين العلم، والتعلم، وليس دين يدعو إلى مفارقة العلم والعقل في أحكامه، بل هو كاشف لحقيقة الأمور التي توصلنا إلى المعرفة التامة، وأول آيات الوحي المبارك قد أكدت ذلك، قال تعالى مخاطبًا نبيه الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ٱقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[٢]. بل للعقل مكانة كبيرة في الدين الإسلامي، فهو أصل في التوصُّل إلى الاعتقاد الصحيح، وقد بلغت النصوص التي تتناول التنبيه إلى دور العقل المئات، ومن خلال نظرة عامة إلى هذه النصوص نكتشف أنَّ مشروع الإسلام في إعطاء العقل دوره الحقيقي قد جاء على مرحلتين، فهو يبتدأ بتحرير العقل، ثم ينتقل إلى توجيه طاقاته[٣].

ومن تراثنا الخالد في هذا الباب ما ورد عن الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام في وصيته لتلميذه هشام بن الحكم في العقل، ونحاول إن شاء الله تعالى أنْ نسلط الضوء على هذه الوصية الخالدة لبيان أهم ما ورد فيها من تعاليم إلهية، تدعو للحفاظ على

(٢) سورة العلق: الآيات ١-٥

(٣) ينظر: دور العقيدة في بناء الإنسان، الأستاذ عباس ذهبيات، (مط ستاره، قم، ط٢، ١٤٢٦هـ) ص٢٥.

الفطرة الإنسانية السليمة، وفي هذه الحلقة سيتم بيان الأمور الآتية، قبل الشروع في بيان فقرات الوصية وما يتعلق بها من شرح وبيان إجمالًا:

١ – مصدر رواية الوصية الشريفة.

٢ – التعريف بـ"هشام بن الحكم".

٣– الوصف الإجمالي لمضمون الوصية.

- أولاً: مصادر الوصية في العقل.

إنَّ وصية الإمام موسى بن جعفر عليه السلام في العقل قد ذكرت في مصادر متعددة من كتب الحديث، فَذُكِرت كاملة تارة، وذُكِرَ جزءٌ منها تارة أخرى. ومن تلك المصادر:

١ - الكافي، للشيخ محمد بن يعقوب الكليني (ت٣٢٩هـ/٩٤٠م)[٤].

٢ - تحف العقول عن آل الرسول (صلى الله عليهم)، للشيخ أبي محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني (ت ق٤هـ)[٥].

٣- تنبيه الخواطر ونزهة النواظر (مجموعة ورام)، للشيخ ورام بن أبي فراس (ت٦٠٥هـ/١٢٠٨م)[٦].

٤ - وسائل الشيعة، للشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (ت١١٠٤هـ/١٦٩٣م)[٧].

٥ - بحار الأنوار، الشيخ محمد باقر المجلسي (ت١١١١هـ/١٦٩٩م)[٨].

---

(٤) تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، (دار الكتب الإسلامية، طهران، ط٥، ١٣٦٣ش) ج١ ص١٣-٢٣.

(٥) تقديم وتعليق: الشيخ حسين الأعلمي، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط٧، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م) ص٢٨١-٢٩٥.

(٦) (دار الكتب الإسلامية، طهران، ط٢، ١٣٦٨ش) ج٢ ص٣٥٣-٣٥٤.

(٧) تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، (مط مهر، قم، ط٢، ١٤١٤هـ) ج١٥ ص٢٠٦-٢٠٧ ، ج١٥ ص٣٥٥.

(٨) (مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م) ج٧٥ ص٢٩٧-٣١٩.

٦- مستدرك الوسائل، الميرزا حسين النوري (ت١٣٢٠هـ/١٩٠٢م)[٩]، ومؤلفات أخرى[١٠].

- ثانيًا: التعريف بـ"هشام بن الحكم".

إنَّ هشام بن الحكم الذي أوصاه الإمام عليه السلام بهذه الوصية العظيمة يعدُّ من أجلِّ تلاميذ الأئمة، الذين نقلوا تراثهم للأُمة، وحاجُّوا المعاندين لهم، وقد ذكره علماء الرجال بالمدح والثناء والتبجيل، ونذكر بعض تلك الكلمات التي وردت بحقه:

١- قال الشيخ النجاشي (ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م): ((هشام بن الحكم أبو محمد مولى كندة، سكن البصرة، وكان مشهورًا بالكلام، كَلَّمَ الناسَ، وحكي عنه مجالسُ كثيرةٌ، ذكر بعض أصحابنا رحمهم الله أنه رأى له كتابًا في الإمامة))[١١].

٢- قال الشيخ آبن شهر آشوب (ت٥٨٨هـ/١١٩٢م) بعد ذكر نسبه أنَّ الإمام الصادق عليه السلام قال فيه: ((هذا ناصِرُنا بقلبهِ ولسانهِ ويدهِ، وقوله عليه السلام: هشام بن الحكم رائدُ حَقِّنا، وسائِقُ قولِنا، المؤيِّدُ لصدقِنا، والدامِغُ لباطلِ أعدائِنا، مَنْ تبعَهُ وتبعَ أثرَهُ تبعنا، ومَنْ خالفَهُ وألحدَ فيه فقد عادانا وألحَدَ فينا، من كتبه: كتاب الدلالات على

---

(٩) تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، (الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م) ج٣ ص٤٦٣ ، ج٨ ص٢٢٤، ص٣١٧، ص٤٦٥ ، ج٩ ص١٨، ص٣٣، ص٨٨، ص٩٧، ص١٥٤ وغيرها.

(١٠) إنَّ جميع المؤلفات المتأخرة التي وردت فيها الوصية فهي قد آعتمدت هذه المصادر المتقدمة.

(١١) فهرست أسماء مصنفي الشيعة (رجال النجاشي)، أحمد بن علي بن أحمد، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، ط٥، ١٤١٦هـ) ص١٣٦.

حدوث الأشياء، الرد على الزنادقة، الإمامة، الرد على من قال بإمامة المفضول، الوصية والرد على مَنْ أنكرها ....))[١٢].

٣- قال العلامة الحلي (ت٧٢٦هـ/١٣٢٦م) بعد ذكر مولده: ((روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن عليهما السلام، وكان ثقةً في الروايات، حسنَ التحقيقِ بهذا الأمرِ، ورويت مدائِحُ له جليلةٌ عن الإمامين الصادق والكاظم "عليهما السلام"، وكان ممن فتقَ الكلامَ في الإمامَةِ، وهَذَّبَ المذهَبَ بالنظرِ، وكان حاذقًا بصناعَةِ الكلامِ، حاضِرَ الجوابِ))[١٣].

- ثالثًا: الوصف الإجمالي لمضمون الوصية.

ومما ورد في وصيته عليه السلام لهشام: ((إِنَّ اللهَ تباركَ وتعالى بَشَّرَ أَهْلَ العَقْلِ والفَهْمِ في كتابِهِ، فقال: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ القَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾[١٤]**، يا هشام بن الحكم: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَكْمَلَ لِلنَّاسِ الحُجَجَ بِالعُقُولِ، وَأَفْضَى إِلَيْهِمْ بِالبَيَانِ، وَدَلَّهُمْ عَلَى رُبُوبِيَّتِهِ بِالأَدِلَّاءِ، فَقَالَ: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي البَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ المُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾**[١٥]**، يا هشام: قَدْ**

---

(١٢) معالم العلماء، محمد بن علي، تقديم: السيد محمد صادق بحر العلوم، (د.مط، د.ط، د.ت، د.م) ص١٦٣.

(١٣) خلاصة الأقوال في معرفة الرجال، الحسن بن يوسف بن المطهر، تحقيق: الشيخ جواد القيومي، (مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط١، ١٤١٧هـ) ص٢٨٨.

(١٤) سورة الزمر: الآيتان ١٧-١٨

(١٥) سورة البقرة: الآيتان ١٦٣-١٦٤

جَعَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ذَلِكَ دَليلاً عَلَى مَعْرِفَتِهِ بِأَنَّ لَهُمْ مُدَبِّرًا، فَقَالَ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّراتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(١٦)، وقال: ﴿حم * وَالكِتَابِ المُبِينِ * إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(١٧)، وقال: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ البَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(١٨) .... يا هشام: ((لِكُلِّ شَيْءٍ دَلِيْلٌ، وَدَلِيْلُ الْعَقْلِ التَّفَكُّرُ، وَدَلِيْلُ التَّفَكُّرِ الصَّمْتُ، وَلِكُلِّ شَيْءٍ مَطِيَّةٌ، وَمَطِيَّةُ الْعَاقِلِ التَّوَاضِعُ، وَكَفَى بَكَ جَهْلًا أَنْ تَرْكَبَ مَا نُهِيْتَ عَنْهُ ....))(١٩).

إنَّ هذه الوصية الخالدة قد تناولت مواضيع كثيرة لها أثر عظيم في تربية الإنسان تربية صالحة، من خلال ما ورد فيه مما له علاقة بالفطرة الإنسانية السليمة عما يلوثها، ويمكننا إجمالاً بيان أهم ما أكدت عليه الوصية في مضامين فقراتها:

١ - الإشارة إلى بيان عظمة نعمة العقل التي أنعم الله بها على عباده، وما لها من آثار تترتب عليها، من خلال التفكر في الخالق وعظمة مخلوقاته السماوية والأرضية، ووحدانيته.

٢ - الدعوة إلى ٱستثمار هذه النعمة (العقل) بما فيها من طاقات للوصول إلى حقائق الأمور، من دون الاغترار بها، والركون إلى الظلم والمعصية، وإنكار المنعم الخالق.

٣ - الإشارة إلى أنَّ العقلاء هم الفائزون بطاعة الله تعالى؛ لأنهم قد أدوا حق هذه النعمة من خلال تسخيرها لله تعالى، وما يوصل إليه، وما يرتضيه من عباده، وقد مدحهم الله تعالى في عدد من آياته المباركة، فضلاً عن الروايات الشريفة، وإنْ كانوا قلة.

---

(١٦) سورة النحل: الآية ١٢

(١٧) سورة الزخرف: الآيات ١-٣

(١٨) سورة الروم: الآية ٢٤

(١٩) يراجع نص الوصية كاملة تحف العقول ص٢٨١-٢٩٥.

٤ – إنَّ هناك علاقة وثيقة بين العقل والعلم والعمل، وإنَّ العلم والعمل أساسهما العقل، وبه يستطيع الإنسان العالم العامل أنْ يكون قدوة في المجتمع بسلوكه السوي.

٥ – لقد أكدت على العلاقة الوثيقة بين رغبة العقلاء في الآخرة وٱستعدادهم لها من خلال الزهد في الدنيا ورفض لذاتها وشهواتها الفانية، وكذلك ما يتعلق باجتناب كثير من الأمراض التي تلوث فطرة الإنسان.

٦ – بيان بعض الأسباب التي لها أثر في هدم كيان العقل، وإطفاء نور الحكمة فيه، وما يؤدي بالنتيجة إلى فساد أمور الدين والدنيا، وفي ذلك رسالة واضحة لاجتناب كُلِّ ذلك.

٧ – بيان العلاقة بين بعثة الأنبياء والمرسلين والعقل، من خلال تلاقح وٱستجابة كُلٍّ من هاتين الحجتين للأخرى، فجعل الأنبياء حجة ظاهرة لله على خلقه، والعقل حجة باطنة، وبيان أهمية معرفة الحجة الظاهرة عن طريق العقل.

٨ – إنَّ فيها عظيم بيان في أثر العقل في مراقبة النفس و محاسبتها، وأهمية ذلك في تصحيح الأعمال، والدعوة منه إلى دوام مجاهدة النفس، فهو الجهاد الأكبر كما ورد في الروايات الشريفة.

٩ – بيان أهمية إيجاد العلاقات الصالحة في المجتمع، من خلال تهذيب السيرة والسلوك مع الآخرين، وتحمُّل بعض الأعمال التي قد تصدر منهم، من أجل الحفاظ على المحبة والود والوئام بين الناس، وخصوصًا الأقربين منهم كالوالدين، والرحم، والجار.

١٠ – لقد أكدت على جوانب متعددة منها ما يكون بين الإنسان وربه، وما يكون بين الإنسان ونفسه، وما يكون بين الإنسان وأسرته، وما يكون بين الإنسان والآخرين، الأقربين منهم والأبعدين، وفي ذلك رسالة تربوية كاملة لصلاح الفرد والمجتمع.

فهذه بعض المسائل التي حاولت بيانها إجمالاً في وصف مضامين الوصية الشريفة.

وسوف أذكر في هذه الصفحات الموجزة كما تقدم فقرة واحدة من هذه الوصية وأبيِّن أهم العلاقات التربوية القائمة بين العقل والنفس الإنسانية؛ لمعرفة مدى أهمية هذه الوصية في منهج التربية الإسلامية وبناء الشخصية وصلاحها.

* قال الإمام الكاظم عليه السلام يا هشام: ((لِكُلِّ شَيْءٍ دَلِيْلٌ، وَدَلِيْلُ الْعَقْلِ التَّفَكُّرُ، وَدَلِيْلُ التَّفَكُّرِ الصَّمْتُ، وَلِكُلِّ شَيْءٍ مَطِيَّةٌ، وَمَطِيَّةُ الْعَاقِلِ التَّوَاضِعُ، وَكَفَى بِكَ جَهْلًا أَنْ تَرْكَبَ مَا نُهِيْتَ عَنْهُ))[٢٠].

إنَّ تربية الإنسان وبناء شخصيته في هذا المقطع من الوصية المباركة يؤكد على مسائل خمسة مهمة، يمكن بيانها إجمالاً من خلال المطالب الآتية:

الأول: العلاقة بين الدليل وآثاره.

الثاني: العلاقة بين التفكر والعقل.

الثالث: العلاقة بين الصمت والتفكر.

الرابع: العلاقة بين التواضع والعقل.

الخامس: العلاقة بين الجهل والانحراف.

(٢٠) تحف العقول ص٢٨٣.

- المطلب الأول: العلاقة بين الدليل وآثاره.

أحاول في هذا المطلب أنَّ أبيِّن تلك العلاقة القائمة بين الدليل وآثاره، والتي أشارت غليها الوصية في بداية الفقرة، قبل بيان مصاديق مهمة لها علاقة بذلك، وسيتم من خلال التعرُّف على بعض المصطلحات بالرجوع إلى المصادر في ذلك.

الدليل: هُوَ إِبَانَةُ الشَّيْءِ بِأَمَارَةٍ تَتَعَلَّمُهَا، مِثْلُ قَوْلِهِمْ: دَلَلْتُ فُلَانًا عَلَى الطَّرِيْقِ. والدليل: الْأَمَارَةُ فِيْ الشَّيْءِ، وَهُوَ بَيِّنُ الدَّلَالَةِ وَالدِّلَالَةِ[٢١].

وقالوا: دَلَّ عَلَيْهِ وَإِلَيْهِ دِلَالَةً أَرْشَدَ. ويقال: دَلَّهُ عَلَى الطَّرِيْقِ وَنَحْوَهَ سَدَّدَهُ إِلَيْهِ فَهُوَ دَالٌّ. وَالدَّلِيْلُ: الْمُرْشِدُ. وَالدِّلَالَةُ: الْإِرْشَادُ[٢٢].

والأمارة: هِيَ الْعَلَامَةُ الَّتِيْ يَسْتَنِدُ إِلَيْهَا لِمَعْرِفَةِ شَيْءٍ آخَرَ[٢٣]. وقد عُرِّفت: أَنَّهَا مَا يَلْزَمُ مِنَ الْعِلْمِ بِهَا الظَّنُّ بِوُجُوْدِ مَا تَدُلُّ عَلَيْهِ، أَيْ مَا يُفِيْدُ الظَّنَّ[٢٤].

فالمعنى العام إنَّ لكل شيء علامة ظاهرة تعرف من خلالها على وجود شيء آخر، وهذا الشيء الآخر يتفاوت في ظهوره وآثاره.

فالإمام عليه السلام أراد تقرير هذه المسألة العقلية من جهة، والتأكيد عليها وعدم الغفلة عنها من جهة ثانية، إذ إنَّ الغفلة عنها تؤدي إلى الفوضى في المقدمات والنتائج

---

(٢١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، اعتنى به: الدكتور محمد عوض مرعب والآنسة فاطمة محمد أصلان، (مط دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م، د.ط)، مادة (دل).

(٢٢) المعجم الوسيط، أحمد الزيات وآخرون، تحقيق: مجمع اللغة العربية في مصر، مادة (دل).

(٢٣) ينظر: لسان العرب، محمد بن مكرَّم ابن منظور، (مط الميرية ببولاق، مصر، ط١، ١٣٠١هـ)، مادة (أمر).

(٢٤) ينظر: معجم ألفاظ الفقه الجعفري، الدكتور أحمد فتح الله، ، (مط المدوخل، الدمام، ط١، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م)، ص٦٨ مادة (الأمارة).

الفكرية، فلا مناص من الإذعان بذلك، وأنَّ الإنسان عليه أنْ يتأمَّل في مقدمات الأعمال وآثارها، فإتقان تلك المقدمات يؤدي إلى نتائج ممدوحة لها آثارها الكبيرة في منهج الإنسان.

وإنَّ هذه العلامات التي نراها في آثار الأعمال هي متعددة، ويجب التأمل فيها للإفادة منها في ناحيتي العلم والعمل، وسوف يشير إلى دلالتين من تلك الدلالات المهمة المتعلقة باستثمار نعمة العقل، وهما (التفكر، والصمت) وما فيهما من آثار على بناء الشخصية، وسلوكها في التعامل مع الآخر، وفي ذلك إشارة عظيمة منه عليه السلام إلى أنَّ كُلَّ ما يصدر من الإنسان العاقل من أفكار أو معتقدات فهو يظهر لا محالة في سلوكه، ويتم التعرُّف عليه من خلال ذلك، فعليه أنْ يؤمن بهذه القضية في حسن اختيار مقدماتها من أجل الوصول إلى أفضل نتائجها.

- المطلب الثاني: العلاقة بين التفكر والعقل.

إنَّ من الموضوعات التي يجب الإذعان بها على وفق ما تقدم من بيانه عليه السلام أنَّ لكُلِّ شيءٍ دليلًا قائمًا بذاته، أو مستندٍ لغيره يُتَوَصَّل به إلى الغير، وإنَّ من العلامات البارزة للعقل هو التفكر، فلا يخفى أنَّ الله تعالى خلق جميع الجوارح والجوانح في الإنسان وجعل لكُلٍّ منهم عمل أو أكثر يدل على وجوده، وأداء ما خُلِق لأجله. فالسمع دلالة على وجود (الأذن) وأنها تؤدي وظيفتها، والإنسان يستثمر هذه النعمة الإلهية ويرى آثارها الوظيفية، والنظر يدل على وجود (العين) وأنها تؤدي وظيفتها وهكذا في غيرها كالأنف والفم والقلب والعقل، والله تعالى قد ذكر ذلك في كتابه المجيد مذكِّرًا الإنسان وداعيًا له للالتفات إلى عظمة ذلك، فقال عز وجل: ﴿وَاللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٢٥]، فالآية صريحة أنَّ الله تعالى هو المنعم الأول الحقيقي على الإنسان بهذه النعم الإلهية العظيمة التي تستوجب من العبد شكره؛ لما يراه من آثار لا تخفى على أدنى عاقل تدل على الخالق العظيم، وما في (السمع والبصر) مثلًا من آثار في المعارف الإنسانية، بل جعل الله تعالى هذه الجوارح شاهدة على الإنسان عند مخالفته لما تقرره في أداء وظيفتها: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾[٢٦]، والله تعالى في الوقت نفسه قد ذم الإنسان الذي لا يستثمر هذه النعم الإلهية في أداء وظيفتها التي فطرت لأجلها أشد الذم ، فقال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا

(٢٥) سورة النحل: الآية ٧٨.

(٢٦) سورة الإسراء: الآية ٣٦.

لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[٢٧].

وإنَّ هذه الحواس لا يمكنها أنْ تؤدي كمال وظيفتها إلا بوجود العقل الذي يميِّز بين حقيقة تلك الصور التي تطبع في الذهن من خلال السمع أو النظر؛ لأنَّ وظيفته إدراك الأشياء على حقيقتها، وهذا الإدراك قد يكون فطريًّا بديهيًّا عندما يميز الإنسان بين الصور الحسية التي يراها، أو الصور المعنوية التي يرسمها في الذهن، وقد يكون معرفيًّا من خلال التأمل في الوجود كله، وهذا التلازم بين العقل والتفكير تلازمًا ذاتيًّا لا يمكن أنْ يتخلَّف عنه، فالتفكير قائم بالعقل، وعلامة على وجوده، ودلالة على وجوب أداء وظيفته؛ لذلك نرى أنَّ الله تعالى قد حث العباد على التفكر في هذه الموجودات المخلوقة الدالة على وجود خالق عظيم لها، يجب أنْ نتفكر فيه وفي مخلوقاته وآثاره الدالة عليه، من خلال الدعوة إلى التأمل بكُلِّ ما يحيط بالإنسان من أمور مادية بسيطة، أو معقدة، فمثلًا قال تعالى مخاطبًا الإنسان إلى التأمل والتفكر بما يحيط به من موجودات مادية يتعامل معها في حياته اليومية، ومعترفًا بوجودها وآثارها عليه: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ * فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾[٢٨]، فهذه الموجودات الأربعة (الإبل، والسماء، والجبال، والأرض) كلها محيطة بالإنسان يوميًّا ولا يخلُ منها نظره إليها والتأمل في عظمتها الدالة على عظمة الخالق، فهي كلها آثار يمكن للعقل إدراكها بأدنى تفكُّر، فالعقل من خلال وظيفتها القائمة على التفكير والتفكُّر يصل إلى معرفة حقيقة هذه الموجودات الدالة على الموجِد، وقد أشار المفسرون إلى

(٢٧) سورة الأعراف: الآية ١٧٩.

(٢٨) سورة الغاشية: الآيات ١٧-٢١.

فلسفة ذكر هذه الآيات الأربعة، والجمع بينها في الدعوة الإلهية إلى التفكر فيها، وهذا ما نراه جليًّا في خطاب الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم أنه إنما هو مذكِّرٌ لهم، وإلا فالآيات دالة بذاتها على وجود الخالق.

وإنَّ القرآن الكريم قد اعتنى كثيرًا في استشهاده بالآيات القريبة من حياة الإنسان، والتي يرى عظمة آثاره من خلال أدنى تأمُّل وتفكُّر حتى تكون داعيًا إلى معرفة تلك العلامات الدالة على العقل، والذي من خلاله يمكنه أنْ يتعرَّف على الخالق العظيم، والبحث عن الوجود وحقيقته، ومآله، وآثاره، والنظام الأصلح الذي ينفع الموجودات فيه؛ فتتم الحجة البالغة، قال تعالى في تقرير ذلك: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٢٩]، فكُلُّ ما تم بيانه لا يحتاج إلى استدلال معقَّد على إثبات وجودها وأنَّ هناك يدًا غيبية لها القوة الحقيقية في إيجادها ابتداءً، أو إعانة الإنسان على إيجادها، ف(الأرض وامتدادها، والجبال وعظمتها، والأنهار وجريانها، والثمرات وطعمها وألوانها وأشكالها وأحجامها، والليل وظلمته، والنهار ونوره) فهي مما يعيشه الإنسان في كنفها، ولا يمكنه أنْ ينفي وجودها مطلقًا، أو ينسب وجودها إليه مطلقًا؛ لذلك كانت دعوته تعالى الإنسان أنْ يتفكِّر في ذلك ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، ثم أعقب ذلك بقوله تعالى ما يؤيد أهمية التفكر بما يحيط الإنسان من نعمٍ جزيلةٍ ظاهرةٍ: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[٣٠] فجميع هذه الآثار (الأرض، والزرع،

(٢٩) سورة الرعد: الآية ٣.

(٣٠) سورة الرعد: الآية ٤.

والثمار، والماء، والطعم) تحتاج إلى أنْ يرعى حقيقة معرفتها العقل، ومن إبداع النص القرآني أنه جمع في الآيتين (لقوم يتفكرون، ولقوم يعقلون) وهذا ما أشارت إليه الوصية المباركة (ودليل العقل التفكر)، والآيات المباركة في ذلك كثيرة، وتتجلى كلها للوصول إلى معرفة الحق عن طريق الحق والتفكر فيه ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾[٣١]، ومما يلفت النظر عناية القرآن بذكر مشاهد الكون عناية كبيرة من خلال تكرار عرضها في أكثر من سورة، عرضًا متنوعًا، ودعوته الإنسان بإلحاحٍ إلى النظر والتأمل فيها، والتفكُّر في مجرى حوادثها، والأهم من ذلك كله جعل هذا الكون منطلقًا للوصول إلى الله تعالى خالقه ومبدعه[٣٢].

وعلى الإنسان أنْ يدرك بأنَّ التمسك بالقرآن وبتطبيق شريعة الله عز وجل هي التي توصله إلى تحقيق الذات تلك الحاجة التي ترفع صاحبها إلى أعمال مجيدة مشرقة، تجعله راضيًا عن نفسه، ومرضيًّا عنه من الناس[٣٣].

فالنتيجة التي لا بد من الإيمان بها أنَّ التفكُّر والتأمل والاستدلال علامة العقل.

(٣١) سورة فصلت: الآية ٥٣.

(٣٢) ينظر: دور العقيدة في بناء الإنسان ص٢٨.

(٣٣) ينظر: علم النفس في رحاب القرآن الكريم والنبي محمد وأهل بيته الطاهرين، الأستاذ الدكتور السيد حسين محمد علي، (شركة أنوار المنار، الكويت، ط١، ٢٠١٣م) ص٧٠.

والروايات الشريفة الواردة عن النبي وأهل بيته (صلوات الله عليهم) تؤكد هذه العلاقة وآثارها المختلفة التي يجب مراعاتها؛ لأداء حق هذه النعمة الإلهية الكبيرة (العقل)، ومنها:

١ - روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((فِكْرَةُ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سَنَةٍ))[٣٤].

إنَّ الحديث ظاهر الدلالة والبيان في عظمة التفكر للوصول إلى التأمل في عظمة الخالق وآثاره على المخلوق، ومنها ٱستحقاقه للعبادة، والدعوة إلى بيان مقام العقل والدعوة إلى التفكر، وأن تكون العبادة قائمة على ذلك.

٢ - روي عن الإمام علي عليه السلام: ((التَّفَكُّرُ فِيْ مَلَكُوْتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عِبَادَةُ الْمُخْلِصِيْنَ))[٣٥].

إنَّ للمخلصين مقامًا عظيمًا في تعاليم الشريعة المقدسة، ولا تنال هذه المنزلة إلا بمجاهدات كبيرة للنفس؛ لذلك ٱستثنى الشيطان في وعيده إمكانية غوايتهم ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[٣٦]، وهذا يؤكد منزلتهم، فالرواية تبيِّن أنَّ التفكُّر هو عبادة أولئك، ومن أراد أنْ يصل إلى منزلتهم فعليه بالتفكُّر.

٣- روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((فَإِنَّ التَّفَكُّرَ حَيَاةُ قَلْبِ الْبَصِيْرِ))[٣٧].

---

(٣٤) بحار الأنوار، الشيخ محمد باقر المجلسي، (مؤسسة الوفاء، ط٢، بيروت، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م) ج٦٨ ص٣٢٨.

(٣٥) غرر الحكم ودرر الكلم، القاضي عبد الواحد التميمي الآمدي تحقيق: السيد مهدي الرجائي، (مط ستار، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م) ص٢٢.

(٣٦) سورة الحجر: الآيتان ٣٩-٤٠.

(٣٧) الكافي، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني ج٢ ص٥٩٩ كتاب (فضل القرآن) الحديث ٢.

إنَّ الحياة الحقيقية التي يعيشها الإنسان المؤمن هي تكمن في مدى تعلقه بالله تعالى، والاستئناس بمحبته حيث الإقبال على طاعته راغبًا، وإنما السبيل إلى ذلك هو التفكُّر في وجود الخالق وعظمته، وآثارها الكثيرة الدالة عليه من خلال الرؤية القلبية لحقائق الأمور، فالرؤية البصرية تقف عند حدود آلة النظر (العين) التي ترى الموجودات وتتنعم بها، والرؤية البصيرية تكمن عند حدود (القلب) والذي هو عالم واسع يتذوق تلك الموجودات والمجردات وآثارهما ويبحث عن العلاقات القائمة بينها، والدالة على مقام الخالق سبحانه وتعالى.

٤- روي عن الإمام الصادق عليه السلام في بيان كيفية التفكر: ((يَمُرُّ بالْخَرِبَةِ أَوْ بِالدَّارِ فَيَقُوْلُ: أَيْنَ سَاكِنُوْكِ؟ أَيْنَ بَانُوْكِ؟ مَا بَالَكِ لَا تَتَكَلَّمِيْنَ؟))[٣٨].

إنَّ من آثار تلك العلاقة بين العقل والتفكُّر هو الاعتبار بآثار الماضيين، وما قدموه أو خلَّفوه في هذه الدنيا، والإفادة من ذلك في منهجهم العقدي أو سلوكهم التربوي مع الله تعالى، من خلال محاولة آستنطاق آثارهم مجازًا، والتعرف على حقيقة الدنيا التي كانوا فيها، وعدم الغفلة والركون إلى الدنيا وزينتها، وقد أشار إلى ذلك في قوله تعالى عند بيانه للاعتبار من حالات الماضيين ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ * كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾[٣٩]، وهذا كله قائم على التفكُّر والاعتبار.

٥- روي عن الإمام الرضا عليه السلام: ((لَيْسَ الْعِبَادَةُ كَثْرَةَ الصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ، إِنَّمَا الْعِبَادَةُ التَّفَكُّرُ فِيْ أَمْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ))[٤٠].

---

(٣٨) الكافي ج٢ ص٥٤ باب (التفكر)، الحديث ٣.

(٣٩) سورة الدخان: الآيات ٢٥-٢٨.

(٤٠) الكافي ج٢ ص٥٥ باب (التفكر)، الحديث ٤.

إنَّ الحديث الشريف في بيان الموازنة بين الأعمال العبادية المختلفة ومنها الصلاة والصوم اللذين أبرز مظاهر العبادة وبين التفكُّر، وفيه إشارة إلى أهمية أنْ تكون العبادة قائمة على التأمُّل والتفكُّر في الخالق تعالى، وليس حقيقية العبادة قائمة على أداء العبادات مجردة عن التفكُّر في حقيقة المعبود وعظمته، فالعبادة القائمة على التفكُّر في أمر الله توصِل إلى معرفة لله وخشيته.

فالنتيجة التي يمكن الوصول إليها أنَّ العقل هو الأداة الباحثة للإنسان عن سبل التفكير والتأمل في الوجود وما يتعلق به، وهو الحجة على الإنسان في إدراكه للحقائق، وبه يستطيع أنْ يميِّز بين الحق والباطل، والصواب والخطأ[٤١]، وأنَّ من الثمار المهمة للعقل التفكُّر، وأنَّ من ثمار التفكُّر العمل القائم على المعرفة، فقد روي عن الإمام علي عليه السلام: ((التَّفَكُّرُ يَدْعُوْ إِلَى الْبِرِّ، وَالْعَمَلِ بِهِ))[٤٢] فأعمال البر المختلفة إنما قائمة على مدى تفكُّر الإنسان بحقائق الأشياء؛ لذلك فالمؤمن العاقل هو الذي يعمل من أجل نجاته من الوقوع في خداع الدنيا ولذاتها، بل يعمل في الدنيا لأجل صلاح آخرته؛ لأنه على يقين بقوله تعالى في بيان حقيقة الدنيا والآخرة: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[٤٣]، وهذا ما نراه جليًّا في دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم للتفكُّر والتأمل في ذلك: ((أَلَا وَإِنَّ مِنْ عَلَامَاتِ الْعَقْلِ التَّجَافِيْ عَنْ دَارِ الْغُرُوْرِ، وَالْإِنَابَةِ إِلَى دَارِ الْخُلُوْدِ، وَالتَّزَوُّدِ لِسُكْنَى الْقُبُوْرِ، وَالتَّأَهُّبِ لِيَوْمِ النُّشُوْرِ))[٤٤].

---

(٤١) ينظر: التربية العقلية عند الإمام الكاظم عليه السلام وتطبيقاتها التربوية، ستار عبيد عباس القريشي، (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد – كلية التربية آبن رشد، ١٤٣٩هـ٢٠١٨م) ص١٠.

(٤٢) الكافي ج٢ ص٥٥ باب (التفكر)، الحديث ٥.

(٤٣) سورة العنكبوت: الآية ٦٤.

(٤٤) ميزان الحكمة، الشيخ محمد الريشهري، (دار الحديث، قم، ط٢، ١٤١٦هـ) ج٥ ص٢٠٥٢.

- المطلب الثالث: العلاقة بين الصمت والتفكر.

إنَّ الحديث بعد بيانه لعلاقة التفكر بالعقل، وبيان علامة العقل هو التفكُّر ومعرفة أهمية التفكُّر وآثاره، نرى أنَّ الحديث ينتقل إلى خطوة عملية لبيان آثار التفكُّر ومنها (الصمت).

والصمت: هُوَ طُوْلُ السُّكُوْتِ[٤٥]. وَصُمُوْتًا وَصُمَاتًا وَأَصْمَتَ أَطَالَ السُّكُوْتَ، والتَّصْمِيْتُ التَّسْكِيْتُ، والتَّصْمِيْتُ أَيضًا السُّكُوْتُ، وَرَجُلٌ صِمِّيْتٌ أَيْ سِكِّيْتٌ[٤٦].

فالصمت هو السكوت الإيجابي الذي يتصف به الإنسان المؤمن العاقل، الذي نراه معرضًا عن لغو الكلام وفضوله، وليس مطلق السكوت، قال تعالى في بيان صفات المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾[٤٧]، والروايات الشريفة التي وردت في بيان فضيلة الصمت ومدحه، نذكر منها:

١ - روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لرجل أتاه: ((أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَمْرٍ يُدْخِلُكَ اللهُ بِهِ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: بَلَى يَا رَسُوْلَ الله. قَالَ: أَنِلْ مِمَّا أَنَالَكَ اللهُ ....فَاصْمُتْ لِسانَكَ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ، أَمَا يَسُرُّكَ أَنْ تَكُوْنَ فِيْكَ خِصْلَةٌ مِنْ هَذِهِ الْخِصَالِ تَجُرُّكَ إِلَى الْجَنَّةِ))[٤٨].

إنَّ في الرواية حثًّا على أهمية الصمت وآثاره بالفوز يوم القيامة، وهو الصمت في موارد معينة خاصة، وليس الصمت مطلقًا، فالخير يحتاج إلى بيانه، ونشره، والدعوة إليه، وهذا كله لا يكون بالصمت وإنما بالكلام؛ لذلك يجب على العاقل أنْ

(٤٥) العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، تصحيح: أسعد الطيِّب (مط أسوة، قم، ط٢، ١٤٢٥هـ)، مادة (صمت).

(٤٦) لسان العرب مادة (صمت)

(٤٧) سورة المؤمنون: الآية ٣.

(٤٨) الكافي ج٢ ص١١٣ باب (الصمت وحفظ اللسان)، الحديث ١.

يكون على بيِّنة من الموارد التي يكون الخير فيها بالصمت أو الكلام، وهذا لا يكون إلا بعد التفكُّر والتأمل في حقائق الأشياء؛ لمعرفة ما ينفع في أي مورد من الموارد التي يمرُّ بها، وسيتم بيان ذلك.

٢- روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((إِذَا رَأَيْتُمُ الْمُؤْمِنَ صَمُوْتًا فَادْنُوْا مِنْهُ، فَإِنَّهُ يُلْقِيْ الْحِكْمَةَ))[٤٩].

إنَّ الرواية الشريفة تؤكد على مسألة مهمة هي العلاقة بين (الصمت والحكمة)، فالصمت يورِث صاحبه الحكمة، والحكمة لا تكون إلا بعد المعرفة بالحقيقة، وهذا كله متوقف على التفكُّر، قال أمير المؤمنين عليه السلام: ((الصَّمْتُ رَوْضَةُ الْفِكْرِ))[٥٠] ففي هذه الروضة تتفجر ينابيع الحكمة حين لا يشارك العاقل الآخرين في فضول الكلام الذي لا خير فيه؛ فضلًا عن باطله، وفي ذلك دعوة صريحة لتربية النفس وتهذيب السلوك ضمن منهج تربوي خاص للشخصية.

٣- روي عن الإمام علي عليه السلام: ((الصَّمْتُ يُكْسِبُكَ الْوَقَارَ، وَيُكْفِيْكَ مَؤُونَةَ الاعْتِذَارِ))[٥١].

إنَّ هذه الآثار الجليلة للتفكُّر من أهم الآثار التي تتجلى في بناء شخصية الإنسان وتربيته تربية لها علاقة بما يعتقد به، فهذان الأثران الكبيران (الوقار، وعدم الاعتذار) من أهم الآثار التي يجب أنْ تظهر في سلوك المؤمن العملي، وإظهار أثر التربية في الشخصية الإسلامية خاصة، والتي تعدُّ قدوة لغيرها من الشخصيات؛ حيث تأثرها بالتعاليم السماوية المقدسة، وهذا لا يكون إلا من خلال مجاهدة النفس والصبر

(٤٩) بحار الأنوار ج١ ص٥٤.

(٥٠) غرر الحكم ودرر الكلم ص٤٢.

(٥١) المصدر نفسه.

على عدم الانجرار خلف الأهواء والدعوات المختلفة، بل بالتأني والتدبر بعواقب الأمور.

٤- روي عن الإمام الحسن عليه السلام: ((نِعْمَ الْعَوَنُ الصَّمْتُ فِيْ مَوَاطِنَ كَثِيْرَةٍ وَإِنْ كُنْتَ فَصِيحًا))[٥٢].

إنَّ الرواية كغيرها من الروايات المتعددة التي تأكد على أهمية الاستعانة بالصمت في كثير من الموارد التي يكون الصمت فيها إيجابيًّا، وإنْ كانت له القدرة على الإجابة والرد والمشاركة، ولكن إنْ لم يكن الأمر خطيرًا ولا بد من الكلام، فالصمت هو السبيل الأمثل، وظاهر الحديث يؤكد أنَّ الغالب أو الأكثر في جميع الأحوال هو الصمت، وهذه نصيحة كبيرة منهم (صلوات الله عليهم) لتحصين الشخصية الإسلامية مما يشوبها من آثار سلبية عليها، وفي ذلك كمال تربية الأئمة لأتباعهم وبيان صراط الهداية، والابتعاد عن الضياع والإغواء، فالعاقل بطبيعته يبحث عن الهداية والنجاح، فالصمت باب إلى ذلك، بل نعم المعين له على ذلك.

٥- روي عن الإمام علي الرضا عليه السلام: ((إِنَّ الصَّمْتَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْحِكْمَةِ، إِنَّ الصَّمْتَ يَكْسِبُ الْمَحَبَّةَ، إِنَّهُ دَلِيْلٌ عَلَى كُلِّ خَيْرٍ))[٥٣].

إنَّ الرواية الشريفة تؤكد تلك الآثار الثلاثة المهمة في بناء الشخصية، وآثارها في التربية وهي (الحكمة، والمحبة، والخير المطلق)، وجميع هذه الخصال مما يرغب إليها العقلاء من الناس عامة، بل هي موضوع احترام وتبجيل، ويرغب بها العقلاء

(٥٢) معاني الأخبار، الشيخ محمد بن علي الصدوق، تصحيح: علي أكبر الغفاري، (الناشر: جماعة المدرسين، قم، ١٣٦١هـ) ص٤٠١.

(٥٣) الكافي ج٢ ص١١٣ باب (الصمت وحفظ اللسان)، الحديث ١.

المؤمنون خاصة، وهي من مكارم الأخلاق التي ينبغي أنْ يتخلَّق بها الإنسان، وفي هذا بيان لأهمية التمسُّك بصفة الصمت الممدوح الذي تدعو إليه هذه الروايات الشريفة.

إنَّ في هذه الروايات الخمس التي تم اتِّخاذها مثالًا لبيان فضيلة الصمت درسًا إسلاميًّا بليغًا لمعالي الأخلاق والتربية الصالحة، والمنهج المستقيم للتربية الإسلامية في بناء الفرد والمجتمع.

ولكن مما ينبغي التأكيد عليه أنَّ الصمت ينبغي أنْ يكون إيجابيًّا بما يمكن لصاحبة تقديره أو تمييزه عن الصمت السلبي والدفاع عن الحق وآثاره، وبيان ما يجب بيانه بالكلام، وقد أشارت روايات متعددة إلى ذلك، فقد روي عن الإمام علي عليه السلام: ((الْقَوْلُ بِالْحَقِّ خَيْرٌ مِنَ الْعَيِّ وَالصَّمْتِ))(٥٤)، وقوله عليه السلام: ((لَا خَيْرَ فِيْ الصَّمْتِ عَنِ الْحُكْمِ، كَمَا أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِيْ الْقَوْلِ بِالْجَهْلِ))(٥٥).

وما صدر عن الإمام السجاد عليه السلام في ذلك يعدُّ خير بيان لمعرفة الموازنة بين الكلام والصمت ومواردهما، حيث سأله شخص عن أيهما الأفضل: الكلام أو السكوت؟ فقال عليه السلام: ((لِكُلٍّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا آفَاتٌ، فَإِذَا سَلِمَا مِنَ الْآفَاتِ فَالكَلَامُ أَفْضَلُ مِنَ السُّكُوْتِ. قِيْلَ كَيْفَ ذَلِكَ يَا ٱبْنَ رَسُوْلِ الله "صلى الله عليه وآله"؟ قَالَ: لِأَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ مَا بَعَثَ الْأَنْبِيَاءَ وَالْأَوْصِيَاءَ بِالسُّكُوْتِ، إِنَّمَا بَعَثَهُمْ بِالْكَلَامِ، وَلَا ٱسْتَحَقَّتِ الْجَنَّةُ بِالسُّكُوْتِ، وَلَا ٱسْتَوجَبَتْ وِلَايَةُ الله بِالسُّكُوْتِ، وَلَا تُوُقِّيَتِ النَّارُ بِالسُّكُوْتِ، إِنَّما ذَلِكَ كُلُّهُ بِالْكَلَامِ، وَمَا كُنْتُ لِأَعْدِلَ الْقَمَرَ بِالشَّمْسِ، إِنَّكَ تَصِفُ فَضْلَ السُّكُوتِ بِالكَلَامِ، وَلَسْتَ تَصِفُ فَضْلَ الْكَلَامِ بِالسُّكُوْتِ))(٥٦).

---

(٥٤) غرر الحكم ودرر الكلم ص٥٤. العيُّ: أي العجز والتعب.

(٥٥) نهج البلاغة، السيد محمد بن الحسين الشريف الرضي، شرح: محمد عبده، (مط الاستقامة، مصر، د.ت، د.ط) ج٤ ص٥٣.

(٥٦) بحار الأنوار ج٦٨ ص٢٧٤.

وقد أكد الإمام الكاظم عليه السلام في فقرة أخرى ما يتعلق بالآثار الإيجابية للصمت فقال: ((يَا هِشَامُ قَالَ رَسُوْلُ الله "صلى الله عليه وآله": إِذَا رَأَيْتُمُ الْمُؤْمِنَ صَمُوْتًا فَادْنُوْا مِنْهُ، فَإِنَّهُ يُلْقِيْ الْحِكْمَةَ. وَالْمُؤْمِنُ قَلِيْلُ الْكَلَامِ كَثِيْرُ الْعَمَلِ، وَالْمُنَافِقُ كَثِيْرُ الْكَلَامِ قَلِيْلُ الْعَمَلِ))[٥٧].

وقال الإمام الكاظم عليه السلام في فقرة أخرى: ((يَا هِشَامُ: قِلَّةُ الْمَنْطِقِ حُكْمٌ عِظِيْمٌ، فَعَلَيْكُمْ بِالصَّمْتِ، فَإِنَّهُ دَعَةٌ حَسَنَةٌ، وَقِلَّةُ وُزْرٍ، وَخِفَّةٌ مِنَ الذُّنُوْبِ))[٥٨].

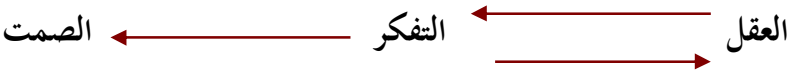

(٥٧) تحف العقول ص٢٩٢.

(٥٨) المصدر نفسه ص٢٨٩.

- المطلب الرابع: العلاقة بين التواضع والعقل.

الْمَطْوُ: الْجِدُّ وَالنَّجَاءُ فِيْ السَّيْرِ، وَقَدْ مَطَا مَطْوًا، وَمِنْهُ الْمَطْوُ فِيْ السَّيْرِ. ومَطَا الرَّجُلُ يَمْطُوْ إِذَا سَارَ سَيْرًا حَسَنًا. وَالْمَطِيَّةُ مِنَ الدَّوَابِّ الَّتِيْ تَمُطُّ فِيْ سَيْرِهَا[٥٩].

ويقال: ٱتَّخَذَهُ مَطِيَّةً لِبُلُوْغِ مَآرِبِهِ. أي جعله وسيلة للوصول إلى غاية معينة، وفي ذلك إشارة منه عليه السلام إلى القصد والغاية التي يقصدها الإنسان سواء في أقواله أو أفعاله، أي بلوغ الغاية في كُلِّ ما يصدر عنه، وهذه الغايات هي متفاوتة بين الناس على قدر معرفتهم، وينبغي للإنسان أنْ يحدد قصده في كُلِّ ما يصدر عنه، من خلال معرفته معرفة تامة أو إجمالية أولًا، ثم تعيينه وتشخيصه ثانيًا، وتحديد المطية والسبيل إليه ثالثًا، ففي المرحلة الثالثة ينتقل من مرحلة القوة إلى الفعل، فمثلًا أنَّ التفكُّر والتأمل من العاقل في أهمية معرفة حقيقته تجاه الخالق أنَّه عبد له، وتشخيصه لوظيفة العبد تجاه المعبود وهو الإذعان والطاعة، وتجاه المخلوقين أنَّه مثلهم، وتشخيصه للصفات التي ينبغي أنْ يكون عليها تجاههم ومنها التواضع، إذ يتم الانتقال إلى المرحلة الثالثة والاتصاف بالتواضع في جميع التصرفات الصادرة عنه، والابتعاد عن كُلِّ ما يشوب تلك الصفة الممدوحة التي تمت معرفتها وتشخيص التحلِّي بها من قبل.

إنَّ التواضع الحقيقي وعدم التصنُّع من العناصر الجوهرية في بناء الشخصية، بأنْ يكون للإنسان ٱستعداد يقدِّر نفسه تقديرًا يدلُّ على التفكير والحكمة، وهو سبيل النجاح والرفعة[٦٠]

---

(٥٩) لسان العرب مادة (مطا).

(٦٠) ينظر: الشخصية، محمد عطية الأبراشي، (دار المعارف، مصر، ط٥، ١٣٦٨هـ ١٩٤٩م) ص١١٠-١١١.

إنَّ من أهم الصفات التي حثت عليها تعاليم الشريعة المقدسة هي التواضع، والعاقل إنما آتخذ التواضع سبيلًا له؛ لما يراه عند التفكُّر والتأمُّل من آثار كبيرة على تربيته، وعلاقته مع الله تعالى من جهة، ومع الآخرين من جهة أخرى، وقد أكدت الشريعة المقدسة على أهمية التواضع والابتعاد عن الكبر وما فيه من آثار سلبية، قال تعالى في بيان صفات النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَآسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾[٦١]، فالآية تشير إلى تواضعه وليونته مع الكفار والمشركين، ومدى تأثير ذلك فيهم، قال الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: ((ولقد أشير في هذه الآية -قبل أي شيء- إلى واحدة من المزايا الأخلاقية لرسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم"، ألا وهي اللين مع الناس والرحمة بهم، وخلوه من الفظاظة والخشونة. "الفظّ" -في اللغة- هو الغليظ الجافي الخشن الكلام، و"غليظ القلب" هو قاسي الفؤاد الذي لا تلمس منه رحمة، ولا يحس منه لين، وهاتان الكلمتان وإنْ كانتا بمعنى واحد هو الخشونة، إلَّا أنَّ الغالب آستعمال الأُولى في الخشونة الكلامية، وآستعمال الثانية في الخشونة العملية والسلوكية، وبهذا يشير سبحانه إلى ما كان يتحلى به الرسول الأعظم من لين ولطف تجاه المذنبين والجاهلين))[٦٢]، وقال تعالى في بيان وصايا لقمان لابنه: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[٦٣] وهذه الوصية ظاهرة في بيان أهمية صفة التواضع في النفس ومع الآخرين، والابتعاد عن التكبُّر؛ لآثاره السلبية في التربية، فضلًا عن كراهة تلك الصفة عند الله تعالى، وما تترتب عليها من صفات

(٦١) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

(٦٢) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م) ج٢ ص٤٩٧.

(٦٣) سورة لقمان: الآية ١٨.

مذمومة أخرى، والقرآن الكريم بذلك يحدد للإنسان المنهج الأمثل في الحفاظ على فطرته السليمة، ومعرفة حقائق الأمور، وعدم الاغترار بتسويلات الشيطان، والإسلام يربط بين الدين الحق والأخلاق، مثل هذه الرؤية تتوضَّح خطوطها في أنَّ الدين يحث على الأخلاق الحسنة، ويقوم بتهذيب الطباع، ويجعل ذلك تكليفًا في عنق الفرد، يستتبع الثواب أو العقاب، وعليه فلم يقدم الدين توجهاته الأخلاقية المثالية بصورة مجردة عن المسؤولية، وإنما جعل الأخلاق نصف الدين؛ لأنَّ الدين ٱعتقاد وسلوك، والأخلاق تمثل الجانب السلوكي للفرد(٦٤).

ولو تتبعنا الروايات المباركة الواردة في التواضع وما يتعلق به، نراها قد تناولته من جوانب مختلفة، تؤكد آثاره المباركة في تربية الإنسان، فينبغي السعي إلى بناء هذه الشخصية الإيمانية بالتمسك بهذه التعاليم، فحب الإنسان المؤمن للناس من المفاهيم الإسلامية للعيش معهم في تآلف وٱنسجام، وفي تعاون وتكاتف نحو فعل الخير لصالح الأمة، يودُّهم ويمدُّ لهم يد العون ويقدِّرهم، يحترمهم ويحترمونه، يثني عليهم ويثنون عليه في كل عمل صالح(٦٥).

ونذكر من أهم تلك الأبواب المتعلقة بالتواضع، والتي أكدت عليها الروايات الشريفة:

١ - حد التواضع. روي عن الإمام علي الرضا عليه السلام لما سئل عن حد التواضع: ((أَنْ تُعْطِيَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ، مَا تُحِبُّ أَنْ يُعْطُوْكَ مِثْلَهُ))(٦٦).

(٦٤) دور العقيدة في بناء الإنسان ص٨٣.

(٦٥) علم النفس في رحاب القرآن الكريم ص١٤٠.

(٦٦) عيون أخبار الرضا ج١ ص٥٤.

إنَّ هذا الحديث يبيِّن الحدود التي ينبغي مراعاتها في التواضع مع الآخـــرين، والتي تقوم على جهتين أساسيتين، الأولى لها علاقة بتربية الإنسان لذاته، والأخرى في تعامل النفس مع الآخرين، ففي الجانب الأول يجب على العاقل أنْ يهذب نفسه بـــما يجعلها مقياسًا لامتثال تعاليم الشريعة المقدسة، ولا يمكنه ذلك إلا بعد التعرُّف على تلك التعاليم، والتفكُّر في آثارها العامة والخاصة عليه؛ ليمتثل إليها مطمئنًّا بأنها سبيل للنجاة من الوقوع في شراك الشيطان، وأنْ يصل بذلك إلى الجانب الآخر في تفاعله مع الآخرين من خلال العطاء المتبادل القائم على المحبة والبر والإحسان بينهما، وأساس ذلك هو التواضع حيث أنه نهج قائم على ذلك، فالإنسان المتواضع هو الذي يـــسعى للتبادل مع الآخرين العطاء الصالح؛ إذ يرى فيهم نفسه وهو بالتالي يتعامـــل معهـــم كتعامله مع نفسه، أما الذي يريد أنْ يعطي الناس أدنى مما يعطونه، أو يطلب منهم أكثر مما يقدمه لهم، فإنَّ ذلك ناشيء من تعامله على أساس التكبُّر والاستعلاء عليهم، وقد حذرت الروايات من هذه الصفة المذمومة التي تورث الآفات الأخرى.

٢- علامة التواضع. روي عن الإمام علي عليه السلام: ((ثَلَاثٌ هُنَّ رَأْسُ التَّوَاضُعِ: أَنْ يَبْـــدَأَ بِالسَّلَامِ مَنْ لَقِيَهُ، وَيَرْضَى بِالدُّوْنِ مِنْ شَرَفِ الْمَجْلِسِ، وَيَكْرَهُ الرِّيَاءَ وَالسُّمْعَةَ))[٦٧].

إنَّ التواضع هو سلوك تظهر آثاره في سيرة الإنسان مع الآخرين في المجتمع، وهناك محطات معينة لمعرفة حقيقة ذلك من عدمه، ولو تتبعنا تلك العلامات لوجدنا آثارها كبيرة في التربية، وقد أشار الحديث إلى ثلاثة منها، وهي مهمة جدًّا في الواقع، ولها دور في البناء التربوي للإنسان.

فالأولى من العلامات هي القائمة على رابطة العلاقات العامة مع الآخرين وهو السلام وما فيه من أثر طيب في النفوس، فضلًا عن بناء العلاقات، والروايات الداعية

(٦٧) ميزان الحكمة ج٨ ص٣٥٥٧.

إلى ذلك كثيرة، والشريعة قد حددت أحكامًا خاصة تتعلق بهذه المفردة التربوية، فالمتواضع هو الذي يبدأ بالسلام على الآخرين، ممتثلًا لهذه الأخلاق الإسلامية العظيمة، وهذا ينطلق من تربية النفس على التواضع للآخرين ومحبتهم والتودد والتقرُّب إليهم.

والثانية من تلك العلامات هو أنْ يكون على خلق خاص عند ٱجتماعه مع الآخرين، قائم على عدم الكُلْفة والإحراج في أي موقف من مواقف الحياة الاجتماعية، ومنها عند اللقاء بهم فلا يبحث عن مكان خاص له يميِّزه عنهم، ويرى في نفسه خصالًا تزيِّن له أنه ليس مثلهم، وهذا غرور خفي تحاول النفس الأمارة أنْ تزينه لصاحبها، فعلى العاقل أنْ يكون على بينة من ذلك، وأنْ يرى أنَّ مجالس المؤمنين هي مجالس شريفة، يحبها الله تعالى، ليس فيها موضع شريف أو آخر وضيع وهناك روايات متعددة في هذه الفقرة كلها تدعو إلى عدم التفكير بذلك، فضلًا عن القيام به، وفي ذلك راحة للنفس من التفكير أو النهج السلبي المخالف لتعاليم الفطرة والشريعة من جهة، ودرس عملي في جهاد النفس من جهة ثانية، وبعث رسالة محبة للآخرين.

والثالثة من هذه العلامات هو ٱجتناب أكبر آفة على الإنسان المؤمن وهو الرياء، الذي عدَّته بعض الروايات بالشرك الخفي، والذي يوقِع الإنسان في ولاية الشيطان، ويُبطل الإنسان أعماله من خلال هذا المرض الذي يصيبه، ويحاول الشيطان أنْ يزيِّنه له على أنَّه من محاسن مقامه الذي لا بد أنْ يظهره للآخرين، وقد حذرت الروايات المباركة من ذلك أشد التحذير، فضلًا عن بعض تعاليم الشريعة المقدسة التي بينت مساوىء ذلك على بطلان الأعمال ومنها العبادات، فيجب على المؤمن أنْ يكون على حذر تام من هذا المرض الذي يصيب النفس الإنسانية.

٣- ثمرة التواضع. روي عن الإمام علي عليه السلام :((التَّوَاضُعُ يُنْشِرُ الْفَضِيْلَةَ))(٦٨).

إنَّ من أهم أسس التربية هو ما نراه في سلوك الإنسان عند تعامله مع الآخرين؛ لمعرفة حقيقة التخلُّق بذلك، بل لتمييز الدعوى واقعًا عن الادِّعاء غرورًا، ويمكن معرفة ذلك من خلال العلاقات العامة التي تربط الناس فيما بينهم، والتي تظهر تلك المفردات الأخلاقية إلى الواقع، فمن ثمار التواضع أنْ نرى محبة المتواضع للآخرين والبحث عن مواطن ذلك المختلفة، فيكون سبيلًا لنشر الفضائل المختلفة في المجتمع بسلوكه العملي، ومشاركته الآخرين ما يحتاجون إليه محبة لهم، وبذل الجاه من أجل سعادتهم، وهو من أهم دروس التربية العملية وفق المنهج الإسلامية في نشر الخير والامتثال إلى قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾(٦٩)، فالتعاون لا يكون إلا من خلال الدافع الإنساني لمحبة الآخرين والتواضع لهم، وهو درس في الوقت نفسه إلى عدم الغرور والتكبر عليهم والامتثال إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾(٧٠)، وأولى تلك الفضائل التي نراها في المجتمع هو حب الناس للمتواضع، والألفة معه، والتواصل والتزاور، وفي كُلِّ ذلك آثار كبيرة في تهذيب المجتمع وتربيته تربية صالحة.

٤ - مقام التواضع. روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : ((إِنَّ التَّوَاضُعَ يَزِيْدُ صَاحِبَهُ رِفْعَةً، فَتَوَاضَعُوْا يَرْفَعُكُمُ اللهُ))(٧١).

وقد أكد الإمام الكاظم عليه السلام على مقام التواضع والتحذير من الكبر في الوصية نفسها فقال: ((يَا هِشَامُ: إِنَّ الزَّرْعَ يَنْبُتُ فِيْ السَّهْلِ وَلَا يَنْبُتُ فِيْ الصَّفَا، فَكَذَلِكَ الْحِكْمَةُ تَعْمُرُ فِيْ قَلْبِ الْمُتَوَاضِعِ وَلَا تَعْمُرُ فِيْ قَلْبِ الْمُتَكَبِّرِ الْجَبَّارِ؛ لِأَنَّ اللهَ جَعَلَ

(٦٨) غرر الحكم ودرر الكلم ص٢٣.

(٦٩) سورة المائدة: الآية ٢.

(٧٠) سورة المائدة: الآية ٢.

(٧١) الكافي ج٢ ص١٢١ باب (التواضع)، الحديث ١.

التَّوَاضُعَ آلَةُ الْعَقْلِ، وَجَعَلَ التَّكَبُّرَ مِنْ آلَةِ الْجَهْلِ، أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ مَنْ شَمِخَ إِلَى السَّقْفِ بِرَأْسِهِ شَجَّهُ، وَمَنْ خَفَضَ رَأْسَهُ اسْتَظَلَّ تَحْتَهُ وَأَكَنَّهُ، وَكَذَلِكَ مَنْ لَمْ يَتَوَاضَعَ لله خَفَضَهُ اللهُ، وَمَنْ تَوَاضَعَ لله رَفَعَهُ))[٧٢].

وقال عليه السلام: ((يَا هِشَامُ: إِنَّ لُقْمَانَ قَالَ لِابْنِهِ: تَوَاضَعْ لِلْحَقِّ تَكُنْ أَعْقَلَ النَّاسِ))[٧٣].

إنَّ الإنسان الذي يتمسك بهذه المفردة المهمة من فضائل الأخلاق، ويجاهد نفسه من أجل أنْ يتحلَّى بها، ويبذل ما يملك من جاه ومقام يراه في نفسه تقربًا إلى الله تعالى في امتثاله لتعاليم الشريعة المقدسة، فهو يؤدي دوره التربوي لنفسه وللآخرين، ويؤكد مقامه الإنساني والاجتماعي، وأنَّ الناس تراه قدوة صالحة في المجتمع، فتضع له مقامًا يليق بتلك المجاهدات لنفسه، ويزداد رفعة بما قدَّمه تجاههم، بل بركة ومحبة، والله تعالى يهيء له أسباب ذلك ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[٧٤]، فالحديث الشريف يؤكد هذه المعادلة الإلهية والاجتماعية، ويدعو إلى التمسك بهذه الفضيلة التي تزيد صاحبها مقامًا ورفعة، وتدعو الناس إليها؛ لما فيها من آثار في بناء الشخصية.

وإنَّ الآثار التربوية المترتبة على سلوك العاقل لا يمكن أنْ ينكرها أي إنسان، فالعقل يعدُّ المحرك الأساس نحو التربية بصورها المختلفة، فضلًا عن تأثُّرها بالقيم العقلية التي يؤمن بها الإنسان، وإنْ كانت تتفاوت ولكنها تشترك في حقيقة واحدة هو إنَّ العقل له أثر في التربية[٧٥].

---

(٧٢) تحف العقول ص٢٩١.

(٧٣) المصدر نفسه ص٢٨٣.

(٧٤) سورة الطلاق: الآيتان ٢-٣.

(٧٥) ينظر: التربية العقلية عند الإمام الكاظم (عليه السلام) وتطبيقاتها التربوية ص١٠٣.

- المطلب الخامس: العلاقة بين الجهل والانحراف.

إنَّ الحديث بعد بيانه لمقام العقل وآثار التفكير فيه، والسُّبُل التي يتخذها في الوصول إلى غايات كبيرة في التربية والسلوك العملي، وبيان أنَّ كُلَّ ذلك إنما قائم على العلم بحقيقة العقل ومدى الامتثال لتلك الحقائق، ينتقل إلى بيان حقيقة لا بد من الإيمان بها، وعدم الاغترار بمخالفتها، وهو أنْ يرتكب الإنسان ما تم نهيه عنه من قبل المشرِّع؛ وقد عُدَّ ذلك من الجهل بحقيقة العقل من جهة، وحقيقة عواقب الأمور من جهة أخرى، والجهل يؤدي بالإنسان إلى الهلاك والضياع والانحراف وسوء بناء النفس والمجتمع، ولو تتبعنا تعاليم الشريعة المقدسة لرأينا مدى النهي عن الركون إلى الجهل والجاهلين، وضرورة التعلم والتعقل والتفكير والتأمل، وهي دعوة عقلية قبل أنْ تكون شرعية، فالعقل بفطرته يدعو إلى العلم والامتثال إليه، والآيات القرآنية قد أكدت على هذه الحقيقة والتحذير منها، قال تعالى: ﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾(٧٦)، وقال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾(٧٧) وغيرهما من الآيات الدالة على ذم الجهل والإعراض عنه والتحذير من اتخاذه منهجًا.

والروايات الشريفة التي حذرت من الجهل والجاهل وعواقب ذلك متعددة، تبيِّن آثار ذلك على تربية الإنسان وسلوكه من جوانب متعددة، ومخالفته في ذلك لمنهج العقل، ومنها:

---

(٧٦) سورة البقرة: الآية ٦٧.

(٧٧) سورة الأعراف: الآية ١٩٩.

١ - بيان حقيقة الجهل. روي عن الإمام علي عليه السلام : ((الْجَهْلُ فِيْ الْإِنْسَانِ أَضَرُّ مِنَ الْأُكْلَةِ فِيْ الْأَبْدَنِ))(٧٨).

إنَّ الحديث يبيِّن الأخطار الكبيرة لحقيقة الجهل على الإنسان، فهو أكثر ضررًا عليه من الأمراض الآكلة للحم الإنسان وتسري في جسمه، وتؤدي به إلى الأذى والهلاك؛ وذلك لأن الآكلة هو مرض يصيب البدن فتظهر آثاره عليه ويمكن علاجه بالتداوي، وتكون حدود أذاه على الشخص نفسه، أما الجهل فهو مرض يصيب الروح والقلب والعقل وتظهر آثاره السلبية على تربية الإنسان وسلوكه، وتنحرف بسببه الأخلاق، وأنْ حدوده تتجاوز صحبه إلى الآخرين، فتتنوع تلك الأخطار التي تصيب المجتمع بسبب هذا الداء.

٢ - آثار الجهل. روي عن الإمام علي عليه السلام : ((لَوْ أَنَّ الْعِبَادَ إِذَا جَهِلُوْا وَقَفُوْا، لَمْ يَكْفُرُوْا وَلَمْ يَضِلُّوْا))(٧٩).

إنَّ الجاهل يضر نفسه ويسب لها الهلاك من حيث يعلم أو لا يعلم، وعليه أنْ يتعرَّف على مرضه ويتم تشخيصة بدقة متناهية، وفي أسرع وقت، كما هو الحال في الأمراض التي تصيب البدن، والحديث يبيِّن أنَّ من الآثار التي تصيب الجاهل إنْ لم يتعرَّف على ذلك هو (الكفر، أو الضلال)، فكلاهما من آثار الجهل، وفيها آثار سلبية على عقيدة الإنسان، ومن ثم على تربيته وسلوكه الفردي والاجتماعي، ولو أنه اكتشف هذا المرض الخطير وتوقَّف عنه محاولة منه لعلاجه لما وقع في هذا الانحراف في العقيدة والتربية والأخلاق.

---

(٧٨) غرر الحكم ودرر الكلم ص٢٦.

(٧٩) المصدر نفسه ص٣١٩.

٣- حقيقة الجاهل. روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((إِنَّ الْجَاهِلَ مَنْ عَصَى اللهَ، وَإِنْ كَانَ جَمِيْلُ الْمَنْظَرِ، عَظِيْمُ الْخَطَرِ))(٨٠).

إنَّ للجهل حقائق متعددة قد ذكرتها الروايات الشريفة، وعصيان الله تعالى والتعدِّي على حرماته هي إحدى تلك الحقائق في هذه الرواية، فالإنسان العاصي لله عز وجل هو إنسان جاهل، وعلينا عدم الاغترار بظاهره، فإنَّ هذا الظاهر لا ينفي عنه تلك الحقيقة وما تحمله من أخطار وسلوك، والتي كانت منها معصية المنعم الحقيقي عليه وهو الله تعالى، الذي ظهرت آثار نعمته على الإنسان من دون أي خفاء، ولا يمكن للعاقل أنْ ينكر ذلك إلا جحودًا وعنادًا، أو جهلًا، فالحديث يؤكد على حقيقة مهمة تبيِّن أنَّ هناك علاقة وثيقة بين ٱرتكاب المعاصي والجهل.

٤- صفات الجاهل. روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((صِفَةُ الْجَاهِلِ أَنْ يَظْلِمَ مَنْ خَالَطَهُ، وَيَتَعَدَّى عَلَى مَنْ هُوَ دُوْنَهُ، وَيَتَطَاوَلَ عَلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ، كَلَامُهُ مِنْ غَيْرِ تَدَبُّرٍ، إِنْ تَكَلَّمَ أَثِمَ، وَإِنْ سَكَتَ سَهَا، وَإِنْ عُرِضَتْ لَهُ فِتْنَةٌ سَارَعَ إِلَيْهَا فَأَرْدَتْهُ، وَإِنْ رَأَى فَضِيْلَةً أَعْرَضَ وَأَبْطَأَ عَنْهَا، لَا يَخَافُ ذُنُوْبَهُ الْقَدِيْمَةَ، وَلَا يَرْتَدِعَ فِيْمَا بَقِيَ مِنْ عُمْرِهِ مِنَ الذُّنُوْبِ، يَتَوَانَى عَنِ الْبِرِّ وَيَبْطَئُ عَنْهُ، غَيْرَ مُكْتَرِثٍ لِمَا فَاتَهُ مِنْ ذَلِكَ أَوْ ضَيَّعَهُ، فَتِلْكَ عَشْرُ خِصَالٍ مِنْ صِفَةِ الْجَاهِلِ الَّذِيْ حُرِمَ الْعَقْلُ))(٨١).

إنَّ هذه الصفات العشر هي أمراض تصيب الإنسان الجاهل، ويجب علينا أنْ نتأمَّل بحقيقتها وأسبابها وآثارها؛ لمحاولة تهذيب النفس وتربيتها عنها، لذلك جعلها

(٨٠) بحار الأنوار ج١ ص١٦٠.

(٨١) تحف العقول ص٢٨.

الحديث من أسباب حرمان الإنسان نفسه من الإفادة من العقل والمعرفة وما في ذلك من نجاة له(٨٢).

٥- أقصى الجهل. روي عن الإمام علي عليه السلام: ((غَايَةُ الْجَهْلِ تَبَجُّحُ الْمَرْءِ بِجَهْلِهِ))(٨٣).

إنَّ من إحدى عواقب الجهل هو تحكُّمه بصاحبه وتزيينه الجهل بالعلم، والمعصية بالطاعة، بل والتصديق بهذا الوهم والجهل الذي يستحكم فيه، وقد أشار تعالى إلى خطر هذه الحقيقة في القرآن الكريم بقوله: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾(٨٤)، فالشيطان يزيِّن للجاهل العمل السيِّء، ويحاول إقناعه بمحاسنه؛ لأنه جاهل بحقيقة المعرفة وآثارها، وهذه من أخطر الحالات التي تمرُّ على الإنسان الجاهل؛ لذلك نرى آثارها كبيرة وظاهرة على سلوكه الفردي والاجتماعي فهو (يتبجَّح) بذلك جهلًا أو غرورًا.

إنَّ هذه الفقرات الخمس المتعلقة بالجهل تؤكد خطر هذه الصفة على الإنسان، ويجب عليه أنْ يتأمَّل فيها، ويتعرَّف على آثارها من جانب، ومحاولة القضاء عليها من جانب آخر؛ لأنها مرض خطير يهدد الحياة الحقيقة له، ويحاول أنْ يلجأ إلى العقلوما فيه من إدراكات مختلفة لها آثار كبيرة عليه من نواحٍ مختلفة، ومنها التربية والأخلاق مع الإيمان بعقيدته، فإنَّ العقيدة الإسلامية ليست كعقيدة الفلاسفة - باعتبارها نظرية فكرية تقبع في زوايا الدماغ-، بل هي قوة تتحرك في القلب وتنعكس

---

(٨٢) إنَّ هذا الحديث من أهم الأحاديث التربوية التي تذكر تلك الصفات التي عليها الجاهل، وما فيها من آثار على الفرد والمجتمع ويحتاج إلى بيان وتفصيل، وقد تركت ذلك على قدر البحث في هذه الصفحات الموجزة.

(٨٣) غرر الحكم ودرر الكلم ص٢٦٧.

(٨٤) سورة الكهف: الآيتان ١٠٣ - ١٠٤.

إيجابيًّا على النفس والجوارح، فيندفع معتنقها إلى ميادين الجهاد والعمل، وعليه فقد كانت قوة فاعلة ومحركة(٨٥).

هذا ما حاولت بيانه بعجالة عن واحدة من تلك الفقرات لوصية الإمام الكاظم عليه السلام لهشام بن الحكم، وما فيها من آثار تربوية مشرقة كبيرة في تهذيب النفس الإنسانية، والتي تعد منهجًا متكاملًا لبناء المجتمع على أسس صالحة تليق بتكريم الله تعالى له، وقد أكدت الدراسات الحديثة أهمية العقل في السلوك والتربية، وما في ذلك من آثار لا بد للإنسان أنْ يتخلى بها، فضلًا عن الدراسات الإسلامية الخاصة التي تستند إلى منهج الثقلين، اللذين قد ضَمِنا لمن تمسَّك بها النجاة من كُلِّ أنواع الانحرافات التي تواجهه فكريًّا وتربويًّا وغيرهما.

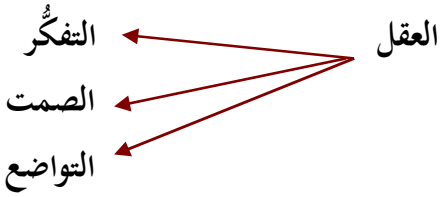

أرجوه تعالى أنِّي وُفِّقت في هذا العرض الموجز لإحياء تراث الإمام الكاظم عليه السلام في هذا الجانب التربوي، وفتحت الباب لدراسات تربوية متعددة على وفق المنهج الإسلامي .. والحمد لله أولًا وآخرًا.

(٨٥) ينظر: دور العقيدة في بناء الإنسان ص٨.

خاتمة:

١ - إنَّ وصايا النبي والأئمة عليهم السلام تعدُّ تراثًا تربويًّا كبيرًا يجب تسليط الضوء عليه في جوانب المختلفة؛ لمعرفة مدى ٱعتنائهم بأصحابهم خاصة، وبالمسلمين عامة.

٢ - إنَّ تعاليم الشريعة الإسلامية المقدسة قد أكدت مقام العلم والمعرفة والعقل من خلال الآيات والروايات، وفي ذلك دلالة واضحة على أنَّ الإسلام دين العلم والمعرفة، ويدعو إليهما من خلال تعاليمه المباركة.

٣- إنَّ وصية الإمام الكاظم عليه السلام تعد من عيون التراث الإسلامية الذي يكرِّم العقل والعقلاء، ويؤكد على أهمية ٱستثمار هذه النعمة الإلهية للإفادة من آثارها المتعددة.

٤ - لقد أكدت الوصية على أهمية العلاقة بين العقل والتربية، وأنَّ التربية الإسلامية لها منهجها الخاص القائم على الاستدلال بالعقيدة من جهة، والعلم والعمل من جهة أخرى، ولا بد أنْ تكون آثارها ظاهرة في سلوك الإنسان على المستوى الفردي أو المجتمعي، ومن المهم أنْ يسلط الضوء على ذلك في الدراسات التربوية الأكاديمية.

٥- إنَّ الصفات التي تم بيانها في آثار العقل (التفكر، والصمت، والقناعة) لها آثار كبيرة في بيان أنَّ التشريع الإسلامي له القدرة التامة على بناء الإنسان علميًّا وعمليًّا، من دون الاعتماد على أحدهما وترك الآخر، أي قائم على النظرية والتطبيق في آنٍ واحدٍ.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

١. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م).

٢. بحار الأنوار، الشيخ محمد باقر المجلسي (ت١١١٠هـ/١٦٩٨م)، (مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م)..

٣. تحف العقول عن آل الرسول (صلى الله عليهم)، الشيخ أبو محمد الحسن بن علي بن شعبة الحراني (ت ق٤هـ)، تقديم وتعليق: الشيخ حسين الأعلمي، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط٧، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م).

٤. خلاصة الأقوال في معرفة الرجال، الحسن بن يوسف بن المطهر العلامة الحلي (ت٧٢٦هـ/١٣٢٦م)، تحقيق: الشيخ جواد القيومي، (مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط١، ١٤١٧هـ).

٥. الخواطر ونزهة النواظر (مجموعة ورام)، للشيخ ورام بن أبي فراس (ت٦٠٥هـ/١٢٠٨م)، (دار الكتب الإسلامية، طهران، ط٢، ١٣٦٨ش).

٦. دور العقيدة في بناء الإنسان، الأستاذ عباس ذهبيات، (مط ستاره، قم، ط٢، ١٤٢٦هـ).

٧. الشخصية، محمد عطية الأبراشي (ت١٤٠١هـ/١٩٨١م)، (دار المعارف، مصر، ط٥، ١٣٦٨هـ ١٩٤٩م).

٨. علم النفس في رحاب القرآن الكريم والنبي محمد وأهل بيته الطاهرين، الأستاذ الدكتور السيد حسين محمد علي، (شركة أنوار المنار، الكويت، ط١، ٢٠١٣م).

٩. العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ/٧٨٦م)، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، تصحيح: أسعد الطيِّب (مط أسوة، قم، ط٢، ١٤٢٥هـ).

١٠. عيون أخبار الرضا عليه السلام، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه الشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ/٩٩١م)، تصحيح وتعليق وتقديم: الشيخ حسن الأعلمي، (ط١، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م).

١١. غرر الحكم ودرر الكلم، القاضي عبد الواحد التميمي الآمدي (ت٥٥٠هـ/١١٥٥م)، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، (مط ستار، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م).

١٢. فهرست أسماء مصنفي الشيعة (رجال النجاشي)، أحمد بن علي بن أحمد النجاشي (ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م)، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، ط٥، ١٤١٦هـ) ص١٣٦.

١٣. الكافي، للشيخ محمد بن يعقوب الكليني (ت٣٢٩هـ/٩٤٠م)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، (دار الكتب الإسلامية، طهران، ط٥، ١٣٦٣ش) ج١ ص١٣-٢٣.

١٤. لسان العرب، محمد بن مكرَّم آبن منظور (ت٧١١هـ/١٣١١م)، (مط الميرية ببولاق، مصر، ط١، ١٣٠١هـ).

١٥. مستدرك الوسائل، الميرزا حسين النوري (ت١٣٢٠هـ/١٩٠٢م)، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، (الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م).

١٦. معالم العلماء، الشيخ محمد بن علي آبن شهر آشوب (ت٥٨٨هـ/١١٩٢م)، تقديم: السيد محمد صادق بحر العلوم، (د.مط، د.ط، د.ت، د.م)

١٧. معاني الأخبار، الشيخ محمد بن علي الصدوق (ت٣٨١هـ/٩٩١م)، تصحيح: علي أكبر الغفاري، (الناشر: جماعة المدرسين، قم، ١٣٦١هـ).

١٨. معجم ألفاظ الفقه الجعفري، الدكتور أحمد فتح الله، (مط المدوخل، الدمام، ط١، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م).

١٩. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ/١٠٠٥م)، آعتنى به: الدكتور محمد عوض مرعب والآنسة فاطمة محمد أصلان، (مط دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م، د.ط).

٢٠. المعجم الوسيط، أحمد الزيات وآخرون، تحقيق: مجمع اللغة العربية في مصر.

٢١. ميزان الحكمة، الشيخ محمد الريشهري (ت١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م)، (دار الحديث، قم، ط٢، ١٤١٦هـ).

٢٢. نهج البلاغة، السيد محمد بن الحسين الشريف الرضي ت٤٠٦هـ/١٠١٥م)، شرح: محمد عبده، (مط الاستقامة، مصر، د.ت، د.ط).

٢٣. وسائل الشيعة، للشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (ت١١٠٤هـ/١٦٩٣م)، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، (مط مهر، قم، ط٢، ١٤١٤هـ).

- الرسائل الجامعية:

٢٤. التربية العقلية عند الإمام الكاظم عليه السلام وتطبيقاتها التربوية، ستار عبيد عباس القريشي، (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد - كلية التربية آبن رشد، ١٤٣٩هـ ٢٠١٨م).

الفهرس

مقدمة	٣
تمهيد: قراءة في وصية الإمام الكاظم عليه السلام إلى هشام في العقل	٥
أولًا: مصادر الوصية في العقل	٧
ثانيًا: التعريف بـ"هشام بن الحكم"	٨
ثالثًا: الوصف الإجمالي لمضمون الوصية	٩
- المطلب الأول: العلاقة بين الدليل وآثاره	١٣
- المطلب الثاني: العلاقة بين التفكر والعقل	١٥
- المطلب الثالث: العلاقة بين الصمت والتفكر	٢٢
- المطلب الرابع: العلاقة بين التواضع والعقل	٢٧
- المطلب الخامس: العلاقة بين الجهل والانحراف	٣٤
خاتمة	٣٩
قائمة المصادر والمراجع	٤١
الفهرس	٤٥

قال الإمام الكاظم «عليه السلام» يا هشام:

((لِكُلِّ شَيْءٍ دَلِيْلٌ، وَدَلِيْلُ الْعَقْلِ التَّفَكُّرُ، وَدَلِيْلُ التَّفَكُّرِ الصَّمْتُ، وَلِكُلِّ شَيْءٍ مَطِيَّةٌ، وَمَطِيَّةُ الْعَاقِلِ التَّوَاضُعُ، وَكَفَى بِكَ جَهْلًا أَنْ تَرْكَبَ مَا نُهِيْتَ عَنْهُ))

الأضحية
للتأليف والتحقيق والنشر

إشراقات تربوية